مجلة العلوم الاجتماعية والإنسانية، جامعة باتنة1 المجلد (24) – العدد (02) (ديسمبر، 2023) -ص 191- 206
ISSN 1111-5149 /E. ISSN 2430-2588

ألفاظ الموت والفناء في مرثية أبي ذؤيب الهذلي رصد الدلالة بين المعجم والسياق

The words of death and perishment in the elegy of Abu Dhu'ib al-Hudhali Monitor of the semantics between the dictionary and the context

هادية رواق* ، جامعة محمد لمين دبّاغين سطيف2 (الجزائر) ، h.rouag@univ-setif2.dz
https://orcid.org/0009-0007-8106-4979

تاريخ الاستلام	تاريخ القبول
2023-07-10	2023-11-16

ملخّص

تقوم الكلمة ومن ثَم القصـــيدة مقام المَعرِض الذي يُظهر التجارب الإنســـانية ويقبض على أحداثها قبضـا له خصـوصـيته النوعية. في سـياق حديث الفقد وألفاظ الموت والفناء، جسّـدت مرثية أبي ذؤيب الهذليّ سمفونية الموت الخالدة، لقد حشدت القصيدة من اللغة ألفاظا كالمنية والدهر والمنون، فرسّخت بتلك الكلمات أعمق معاني الحزن وأشـــجانه، تتغيّا هذه الورقة البحثية الوقوف عند هذه الألفاظ وذلك بتقصّـــي دلالاتها المعجمية، واســـتكناه معانيها الســـياقية. وإذا كان النص الشـــعري قد أُعِدّ ليدلي بآفاق تخييلية وأبعاد دلالية لامتناهية، فإنّ المفردة - قبل كلّ شـــيء - فعل اجتماعيّ، بل هي جزء لا يتجزّأ من الفعل عند علماء الاجتماع، وهي وحدة معجمية تامة البنية وذات حمولة دلالية سابقة على المعنى السياقي، تؤدّي بمعناها المعجميّ دورًا فاعلا في توجيه الدلالة إلى معنى ما دون غيره.

الكلمات المفتاحية: ألفاظ الحزن؛ البعد الاجتماعي؛ الدلالة؛ المعجم؛ السياق.

Abstract

The word, and then the poem, takes the place of an exhibition that shows human experiences and captures their events in a grip that has its specificity. In the context of the talk of loss and the words of death and annihilation the elegy of Abu Dhu’ib al-Hudhali embodied the symphony of death. The poem has mobilized from the language words such as death, eternity, decease, it established the deepest meanings and sorrows of sadness. This research paper aims to stop at these terms by examining their lexical connotations and apprehending their contextual meanings. And if the poetic text is prepared to express deep semantic dimensions and wide imaginative horizons, then the word is – before all thing - a social verb, rather than an integral part of the act for sociologists, and it is a fully structured lexical unit with a semantic load prior to the contextual meaning, and in its lexical meaning it plays an active role. In directing the indication to the meaning of something without the other.

Keywords: Expressions of grief, social dimension, semantics, lexicon, context.

* المؤلف المراسل

1 ـ مقدّمة

أ ـ في موضوع القصيدة وإشكالية الورقة البحثية وفرضياتها

إنّ كلّ الأحداث والقضايا من جنس ما حلّ بأبي ذؤيب الهذلي ومهلك بنيه، سواء أكانوا خمسة هلكوا بطاعون مصر، أم سبعة هلكوا من شربهم للبنٍ لعقته أفعى (أبو ذؤيب، 1965، صفحة 1)، كلّ تلك الأحداث ستفنى، لكنّ ما يُكسب الأحداث صبغة الديمومة والبقاء هو حين يتمّ تجسيدها في أشكال من التعبير، كأن تصير مثلا يُضرب أو نموذجا يُحتذى أو قصة تُتلى أو قصيدة تُؤرِّخ. لذلك يتمتّع النصُّ بسلطة فوقية عُليا يكتسبها من تأريخه للحدث وقبضه عليه، وبه تتمتّع الكلمة بقوة سحرية خارقة تؤثّر في النفوس، وتغيّر من السلوك وتصنع الأفكار.

وسواء كان المقصود بالكلمة النّص أم المفردة التي يُبنى بها النص، فالمؤكّد أنّ مفعولها ثابت، لأنّه نابع من صميم وظائفها الفطرية، ثم بما اكتسبته من صبغة دينية ومنزلة اجتماعية، وبذلك فقد قامت الكلمة ومن ثَم القصيدة، مقام المَعرِض الذي يُظهر التجارب الإنسانية ويقبض على أحداثها قبضا له خصوصيته النوعية.

في سياق حديث الموت وألفاظ الفقد والحسرة والفناء جسّدت مرثية أبي ذؤيب الهذليّ سمفونية الموت الخالدة، فمازالت ـ وهي التي لم تترك في حديث الموت وأحزانه مقالا لقائل ـ من أبلغ جداريات الحزن والبكاء؛ كرّست ألفاظه ورسّخت معانيه وحشدت له من الألفاظ كلّ غض وطري قبل أن يُعلّب في المعاجم والقواميس، فكانت ألفاظها قيمة مائزة لها؛ لأنها أفعال دالّة على الألم نطقت بالحزن على فطرته، وصرخت بالشجن حين كان الحزن على الطبيعة طبعا لا تطبُّعا وحقيقة نفسية لا تكلُّفا وتمظهُرًا، ذلك أنّ الإنسان في أزمنة قديمة كان أقرب إلى الفطرة، ومنه فقد كانت مفردات اللغات القديمة ومنها العربية، عاطفية مباشرة كما يصفها علماء اللغات.

إنّ مرثية أبي ذؤيب الهذلي في تراث العربية هي إلياذة الموت التي جسّد ت مرارته بامتياز؛ فقد انقضت الأحداث لكن تخلّدت الأبيات لأنّها حاكت بكلماتها العميقة الأحزانَ والأشجان، ومازال ذلك الصوت المفزوع مدويّا يثير لوعة الحزانى الفاقدين، ومازالت ألفاظ المنية والمنون والجزع والغصّة والموت والدهر، تثير الأشجان وتلهب عواطف الملتاحين إلى يومنا.

ب ـ الإشكالية

ما خلّد هذا النص أنّه ظلّ يُثير لواعج الحزن في كلّ من قرأ أبياته، وإذا كانت أخصّ خصائص المرثية ـ موضوع الحديث ـ هو ما حُشِد فيها من ألفاظ الحزن والفناء، نتساءل هل حشد نوع محدّد من الألفاظ في نص ما، كفيل بإبلاغ رسالة الشاعر؟

ـ هل وُفّق أبو ذؤيب في جمع ألفاظ الحزن وأحاط بمعانيه؟

ـ إذا تمّ تشريح الدلالة المعجمية لتلك الألفاظ كما أدلت بها المعاجم والقواميس، ثم تمّ ربطها بالسياق الاجتماعي والتاريخي للنص، هل سنستشعر من ورائها روح الشاعر المكلومة؟

ـ من ناحية أخرى ما قيمة المعاجم والقواميس إذا تجاوزنا شروحها لمعاني الألفاظ، وتتبّعنا معاني النص في أبعاده اللاّمتناهية؟

ـ بل ما قيمة المعاجم إذا لم تُسعفنا في فهم النص وكشف غموضه؟

ـ هل هناك طروحات أو آراء حديثة تُعيد للمعجم مكانته من جديد؟

إنّنا لا نحتاج إلى التذكير بأهميّة المعجم في الإحاطة بمعاني مفردات اللغة، ولا إلى التذكير بضرورة " الاستعانة بالمعاجم للتمكّن من إحياء اللغة وآدابها" (الخطيب، 1994، صفحة 47).

وحتّى نتمكّن من الإجابة على كلّ هذه الأسئلة يتطلّب الأمرُ الوقوف عند مفردات وألفاظ الموت والفناء في قصيدة أبي ذؤيب، وذلك بتقصّي دلالاتها المعجمية واستكناه معانيها السياقية، على أنّ ارتباط الألفاظ ببيئتها العربية أمر ثابت، فقد ثبُتت ولادتها ولادة طبيعية من رحم البيئة العربية، إذ نقلت إلينا حضارة الشعر كاملة غير منقوصة، ووصّفت ثم رسمت لنا البيئة العربية بكلّ تفاصيلها، إلى أن تلقّفتها المعاجم والقواميس وأحاطتها بالعناية، فهل نعدّها اليوم ذخيرة وكفى؟

ج ـ الدراسات السابقة

حظيت المرثية بتعدّد وتنوّع الدراسات، وقد أسالت من الحبر ما يفوق الوصف، كلّ ذلك بسبب أهمية موضوعها وإشراقة عباراتها وشدّة وقعها على نفوس القراء والشرّاح والدارسين، منذ أقدم عصورها إلى يومنا.

تعدّدت أبعادها الفلسفية وآفاقها التخييلية وتشابكت موضوعاتها، مما صعّب حصر وجمع ما كتب في أبياتها، وردت إلى التاريخ الحديث برواية المفضّليات حيث جمعها المفضّل الضبّي، نقلا عن السكّري.

جُمعت القصيدة في ديوان الهذليين باسم الدار القومية للطباعة مصر، وقد دُرست ضمن كتاب مختارات من روائع الأدب العربي لعبد السلام سرحان، حقّقها الأستاذ محمود محمد شاكر... ونظرا لإمكانياتها الهائلة، وطاقاتها التعبيرية العالية مازالت تلك المرثية مجالا خصبا للبحث والتنقيب...

وإذا كانت القصيدة هي مجال التطبيق في هذه الورقة البحثية، إلاّ أنّ موضوع الورقة الأساسي هو محاولة رصد المعاني المعجمية والسياقية لتلك الكلمات التي سرّدت حكاية الموت تسريدا فريدا من نوعه، وصار مجرد ذكر ألفاظ المنية والمنون مثلا، هو إحالة مباشرة على المرثية، أو إحالة على الحزن والأشجان إنّنا بذلك نعيد الاعتبار للمعجم، بإظهار دوره الفعّال في التدليل على معاني الأبيات.

د ـ أهداف الورقة البحثية

تتغيّا هذه الورقة البحثية إعادة النظر في أهمية الدلالة المعجمية للكلمة المفردة، والاعتداد بدورها الفاعل في توصيل المعنى وتوجيهه، خاصّة بعد أن تنوّعت القراءات المعاصرة للنصوص الشعرية ما أدّى إلى إهمال الاحتفاء بالمعاجم اللّغوية التي تحمي جوهر اللّغة، ثم إظهار وبيان أهمية السياق في تحديد المعنى، على أنّ ذلك ليس هو منتهى النص الذي يُستنطق بكلّ أدوات القراءة، لتحديد الأبعاد اللاّمتناهية التي تحملها النصوص الشعرية.

هـ – المنهج

اعتمد البحث على المنهج الوصفي القائم على التحليل وتتبع الجزئيات باستقراء الحقائق

اللغوية ذاتها دون اللجوء لأيّ مسلك من المسالك خارج النص، إننا بذلك نصف الحقيقة وصفا مباشرا في إطار سياقها الطبيعي وبيئتها العربية الخالصة.

2ـ المتن

أ ـــ الوظيفة الاجتماعية للكلمات

الكلمة ببعدها الاستعمالي في المجتمع الذي يتكلّمها هي أصغر وحدة دالّة ولا مجال لتفكيكها، فمن أخصّ خصائص المفردات أنّها جهاز حساس يستقطب "المسائل الاجتماعية بمعناها الحقيقي" (فاندرياس ، د ت، صفحة 9) ويسجّلها بدقّة متناهية، والشاهد في ذلك هو اللّغة العربية فقد توحّد تاريخ اللغة العربية على مساحة ممتدّة في الزمان والمكان، وتقلّبت العربية بين جنبات العيش المشترك أزمنة عديدة وأطوارا متعاقبة، ففي شبه الجزيرة العربية تمازجت خصال العرب النفسية والاجتماعية من الكرم والأنفة والأريحية وعزة النفس والشجاعة والبسالة في الحروب، لتكون اللغة العربية شاهدا ثبتا على كلّ تلك الأحداث والوقائع الاجتماعية: "فلا جرم كانوا أهل هذه اللّغة التي ناسبتهم بأوضاعها في معاني التركيب" (الرّافعي، 1997، صفحة 34). إنّ الكلمة التي يستخدمها الفرد في بيئته لا تعبّر عن وُجوده النفسي فقط، بل هي بشحنتها الجماعية تعبّر عن "طابع مجتمعيّ خاص باللّغة" (ماطوري، د ت، صفحة 92).

وكلّ لفظ يشكّل مجموعة صوتية على نسق ونظام معيّن، هو في حدّ ذاته محيط دلالي اتُّفق عليه في عرف المجتمع اللّغوي الذي يتبنّاه، (الدّاية، د ت، صفحة 147) وبه فالمعاني المعجمية صناعة اجتماعية بها تتحدّد خصائص ومواصفات المجتمع ويعبّر ذلك الرّمز اللّغوي عن الإنسان وأفعاله وسلوكه وكلّ دوائره الاجتماعية والفكرية والوجدانية، ومن الاستحالة أن: "نشخّص مجتمعا من المجتمعات إلاّ عن طريق اللّغة" (شوقي، 2000، صفحة 10) وبه تكون اللغة بمفرداتها كالحارس الأمين الذي يضع الأحداث الاجتماعية تحت حمايته، فيسجّل الحدث دون أن يضيف شيئا للأحداث والتاريخ.

وإذا كان هذا شأن اللغة عموما والعربية خصوصا، فلا يجدر بالمعنى في نص شعري رحل إلينا منذ ذلك الزمن، إلاّ أن يتناســب في أوضــاعه مع وقائع تلك الحادثة الاجتماعية؛ (حادثة موت البنين خمستهم)، يتضافر فيه المعجم مع السياق والحدث.

ورغم تموّج طبيعة الكلمة وصــعوبة تعريفها، إلاّ أنّها حدٌ يفرض نفســه بالقوة، وهذا الحدّ هو في حدّ ذاته عنصــر مركزيّ بين الوقائع الاجتماعية، وإذا كانت الكلمة وجودا مجتمعيّا: "فهي قبل كلّ شيء فعل اجتماعيّ في رأي" (دي سوير، 1986، صفحة 6)، وفي النهاية الكلمة عبارة عن عملة تسري بين الناس، وتكون عنوانا وأداة لتعاملاتهم وهي التي: "تُعقلن الفكر وتُرتبه وتميّزه وتعمّمه وتعمل على تجريده" (ماطوري، د ت، صفحة 93).

ب ـ المفردة بين الاهتمام المعجمي والاهتمام والسياقي

بدا لنا في سياق البحث اللّغوي أنّ اختلاف التعاريف وتحديد مفاهيم وأسس المعارف والعلوم، يكون عادة بسـبب اختلاف المناهج، إذ يحرص كلُّ متخصّـص في مجال بحثه على "أن يلبّي التعريفُ احتياجاتِه ومتطلّباتِ حقله الدراســيِّ" (عمر، 1998، صــفحة 53)، لذلك اختلف الدارســون في تحديد

ماهية الكلمة المفردة وقدرتها على إيصال المعنى. وفي هذا السياق لا تناقض مع القائلين بفكرة أنّ من يتمسّك بالمعاني المعجمية لمفردات النص كمن يتمسّك بثيابه العارضة، وذلك بسبب انسيابية الكلمة، وقدرة الألفاظ على توليد المعاني الجديدة مهما تجمّدت في المعاجم والقواميس، أمّا النص الشعري فهو مرسلة أداتها الأساسية هي المفردة، وللمفردات داخل النص تجلياتها وخصوصياتها اللاّمتناهية، وذاك مجال آخر من البحث والتنقيب.

غير أنّ الخلاف وقع في تحديد حدود المفردة والوقوف على ماهية الكلمة، بين من جعلها الوحدة الأساسية في الكلام، ومن جعلها "خرافة علم اللّغة" (Robins, 1964) وفي النهاية تباينت تعاريفها وتباعدت بسبب تغيّر زاويا النظر واتّجاهات الرؤية وأهدافها.

وإذا كانت الكلمة في عرف علماء الاجتماع واللغويين هي القابض الرسمي على الأحداث، فهي عند فرويد أصل ثابت وجزء لا يتجزّأ عن الفعل إذM " يكفي وجودها لإثارة الانفعال التام به واستحضار معناه الملموس كاملا. " (Piaget , p. 10) . وبه فكيفما ترتّبت الأفعال والوقائع في واقع الحياة، تترتّب الكلمات التي تقبض على معانيها، ويصير المعنى المعجميّ للكلمة المفردة ــ بوصفها وحدة معجمية تامة البنية ــ حمولة دلالية سابقة على المعنى السياقيّ، وتؤدّي دورًا هاما في تحديد المعنى داخل النص.

ومهما كانت صفة هذا الدور فهو موجود كما أنّ: "الكلمة لا يُمكن أن تتجزّأ دون أن تنتج عن ذلك بلبلة في المعنى ويبقى واحد من هذه الأجزاء بين أيدينا وهو فاقد الحياة"(Piaget , p. 27). لذلك يُعدُّ المعجم هو الوثيقة الأساسية والقابض الرسميّ على المعاني المركزية والأساسية للكلمات؛ ويقصد به "المعنى المتصل بالوحدة المعجمية حينما ترد في أقل سياق أي حينما ترد منفردة." (Nida, s.d, p. 13)

والواقع يؤكّد أنّ مختلف فروع الدّراسات اللّغوية تهتم بالكلمة المفردة، وإذا كانت الكلمة المفردة تشكّل الحجر الأساس في فرع المعاجم لأنّها المادة الأصيلة فيه ولا معنى للمعجم بدون كلمات، فهي أيضا ومهما كان صنفها وحدة أساسية في الجملة والنص. ومجرّد وجود ألفاظ معينة في نصوص معيّنة سيلقي بمعان ومقاصد محدّدة، وكأنّ اختيار لفظ معيّن دون غيره، سيوجه المعنى في اتجّاه محدّد دون آخر.

ولهذا فإنّه وإن كان للكلمة في النص معان كثيرة، سيكون لها من بين كلّ تلك المعاني الكثيرة المتماهية التي يحتملها النص، معنًى معجميا، وهو الذي يأخذ دورا بارزا باعتبار اهتمامه بـ "تخصيص الوحدة اللغوية ببيانٍ دلالي معيّن" (الشيدي، 2011، صفحة 32)

أي: "أنّ أي دالٍ من الدوال لا يؤدّي وظيفته بوصفه صوتا له دلالته المباشرة على شيء أو معنى ما، ـ بل بوصفه في جوهره مختلف عن غيره من الدوال. ومعنى هذا أنّ معاني الكلمات تتوقف على مواقعها في الجمل واختلافها عن غيرها" (فضل، 1978، صفحة 15).

لذلك نادي جورج ماطوري بضرورة استقلال المعجمية عن غيرها من علوم اللغة كالصرف والنحو والدلالة والأسلوبية، ودعا إلى دراسة تهتم بالكلمة منفردة أو ما اصطلح عليه بـــ "معجمية الكلمة" (ماطوري، د ت، صفحة 7). واعتبر الكلمة هي أصغر وحدة دلالية تُبنى عليها الدراسة

المعجمية، مخالفا بذلك دعاة التجزيء الذين جعلوا تفتيت الكلمة إلى وحدات أصـــغر ضـــرورة يُمليها الوضع.

وإذ قد تحدّدت مكانة الكلمة في المعجم وتقرّر أنّ الكلمة وحدة تامة المعنى، مع زوال اعتبار عدم تمكّنها من الا ستقلال بالمعنى والدلالة بسبب حيازتها لمعنى في المعجم، تتولّد إشكالية وضع الكلمة في السياق.

ماذا عن السياق اللّغويّ الذي وردت فيه المفردة، هل يمكن أن يتحكّم هو الآخر في توجيه دلالات النص؟

إنّ حديث العلائق بين مفردات النص يُفضي بنا إلى فكرة السياق اللغويّ التي بدت عند علماء اللغة كبعدٍ هامٍ من أبعاد الدلالة، فقد ذهبوا إلى أنّ العلاقات السياقية بين الوحدات هي ما يجدّد طاقة اللغة، وكلّما اختلفت طرائق الترتيب والتركيب تجدّدت المعاني على إثرها، وهذا من شأنّه أن يُبقى حركة الخلق اللغوي مستمرة لا تنتهي عند غاية محدودة، فالمعاني تتوالد ولا يمكن أن تُحدّ المفردات بنهايات، ومن ثمّ لابدّ من رصد العلل والأسباب التي أدّت إلى هذا التغيّر، وهو ما قاد إلى إدراك دور الوظائف النحوية في الناتج الدلالي الذي يتفتّق ممّا بين المفردات من علائق.

والســياق اللّغويّ ذاته لا يقف عند إمكانيات النحو وحده، بل ســيّجه رواد المدرســة الســياقية بمعانٍ كثيرة متنوّعة، فأُطلق على كلّ ما يُحيط بالوحدة اللّغوية المستعملة في النصّ تارة، وأُريد به قيود التوارد المعجمي التي تُلتزم أثناء اســتعمال أكثر من وحدة لغوية، وأطلق المفهوم على النص اللّغوي بكلّ معانيه وأبعاده المتكاملة ســواء كان النص مكتوبا أم مشــافهة، وأُطلق الســياقُ على الأحوال والمواقف الخارجية التي لها علاقة بالكلام لحظة الآداء (البركاوي، 1994، صفحة 46).

ومنه جاءت النظرية السياقية لتركّز على البعد الاجتماعي للغة، ففتح "فيرث firtth " بوصفه أبرز رواد النظرية الســياقية، فتح النص على الجانب الاجتماعي للكلمات، ووازى بين ثنائيتي الداخل والخارج، (الداخل، البنية اللغوية) و(الخارج، البعد الاجتماعي والثقافي) ولعلّ التأمّل البسيط سيُفضي بنا إلى ذات الطرح؛ إذ الكلمات والجمل خارج دلالتها الاجتماعية لا تعدو أن تكون مجرّد أصــوات متتالية.

وإن لم تكن الكلمة كذلك؛ أي هي "خالية من الحقيقة" صارت مجرد "أنفاس صوتية " (flatus voices) أي خيالا باطلا" (دي سوير، 1986، صفحة 6) ومنه لابد من ربط كلّ مرسلة كلامية بسياق مقامها والإطار الاجتماعي والثقافي والموقف الذي وردت فيه، فلا ينبغي بأيّ حال من الأحوال أن تنسلخ الكلمة من سياقها الذي وردت فيه.

إذ: "ليس الذي يجعل الكلمات قادرة على إنتاج معنًى ما هو كونها تُنطق بشــكل فرديّ، ولكن ذلك راجع إلى العلاقات الموجودة بينها" (ماطوري، د ت، صــفحة 50) والمقصــود بذلك هو الســياق، الذي هو في معناه التقليدي: "النظام اللفظي للكلمة وموقعها من ذلك النظم، ويشمل ـــ لا الكلمات الحقيقية السابقة واللاحقة فحسب ـ بل والقطعة كلّها والكتاب كلّه".

ويتدخّل في هذا الشــأن كلّ ما يتّصــل بالكلمة من عناصــر لغوية تتعلّق بالنظم والترتيب والتركيب والتعليق والتعالق، ومن ظروف وملابسات وعناصر غير لغوية تتعلّق بالمقام والوضع الذي تُنطق فيه، فيصــير لكل كلمة أهميّتها البالغة (بالمر، 1999، صــفحة 57) وهنا ما يُحدث التقاطع الفعّال بين الدلالات التي تدلي بها المعاجم، والتي يثبّتها الدماغ بشــكل غير شــعوري، في نوع من أنواع الاســتعمال الجمعي الذي "يثبّت الكلمات في بعض المعاني ويُعدّها للاســتعمالات التي توجّه إليها، وفي الاســتعمال تتعرّض الكلمات إلى تغييرات أخرى في المعنى، والتغير في هذه المرة يأتي من سياق النص". (فاندرياس ، د ت، صفحة 252)، فتصير المواقف هي التي تجدّد المعاني والدلالات.

ج ـ الدلالات المعجمية لألفاظ الموت والفناء في المرثية (ديوان، 1965)

1ـ المنون

وردت المنون في معجم لسان العرب دالا على المذكّر والمؤنّث معا قال ابن منظور: المنون: (ابن منظور، بلا تاريخ، صفحة 135) هو الدّهر والموت هو لفظ يُذكّر فيُحمل على الموت، يُؤنّث فيُحمل على المنية وقد ذكّره أبو ذؤيب على المؤنّث فأراد به المنية، وقيل سُمي منونا لأنه يذهب بالمُنّة أي القوة.

2ـ الرَّيب

هو صرف الدّهر، وريب الدّهر هي صروفه وحوادثه، ريب المنون حوادث الدهر (ابن منظـور، صفحة 274).

3ـ ريب المنون

(معجم المعاني الجامع، بلا تاريخ) حوادث الدهر ومصائبه وصروفه، وكلّ ذلك لا يخرج عن معنى الشدّة والمصيبة.

4 التوجّع

هو التشكّي والتفجّع من الألم، وفي السياق يُقال في العربية: أوجع عدوّه أثخن فيه وآلمه.

5 ـ الدهر

هو الأمد والزمان الممدود، وقيل الدّهر ألف سنة، جمعه أدهرٌ ودهور، وفي قوله صلى اللّه عليه وسلم: "لا تسُبُّوا الدّهر فإنّ اللّه هو الدهر" معناه أنّ ما أصابك من الدهر فاللّه فاعله، وليس الدّهر هو الذي فعل، فإذا شتمت به الدّهر فكأنك أردت به اللّه تعالى. وهو ما جعله المتزندقة والدهريون حجة على أهل الإسلام فيقولون:(ألا تراه يقول: فإنّ اللّه هو الدّهر)، وكان عرب الجاهلية يذمّون الدهر عند النوازل والمصائب (ابن منظـور، صفحة 314) فنقل اللّه تعالى قولهم: ﴿ومَا يُهْلِكُنَا إِلاَّ الدَّهْرُ وَمَا لَهُمْ بِذَلِكَ مِنْ عِلْمٍ إِنْ هُمْ إِلاَّ يَظُنُّونَ﴾[الجاثية] الآية 24.

6ـ معتب

وردت لفظة معتب بمعان كثيرة، فيُقال في العظم المكسور أُعتِبَ، فهو مُعتَبٌ، وأصل العتب الشّدّة، تقول العرب مقولة: "ما في الأمر عتبٌ ولا رتبٌ" أي شدّة، وفي قول عائشة رضي اللّه عنها:"إنّ عتبات الموت تأخذه، أي شدائده"

والعُتبى: هي اسم على فُعلى وهو الرجوع عن الإساءة إلى ما يُرضي العاتب، (ابن منظـور، صفحة 21) ومنه ما جاء في الحديث الشّريف "لك العتبى حتّى ترضى"، ويلوح من المعنى أنّه مقصد أبي ذؤيب ليس بمُعتب فالدّهرُ ليس بمُرضٍ من يجزعُ.

7ـ يجزع

وردت لفظة الجزع في قول اللّه تعالى:﴿إِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ جَزُوعًا وَإِذَا مَسّهُ الخَيْرُ مَنُوعًاَ﴾ [المعارج] الآيات19، 20 والجزع نقيض الصبر من الفعل جزِعَ يجزع وإذا كَثر منه الجزع فهو جزوعٌ، جاء اللفظ على صيغة فعل مضارع للدلالة على الحال والاستقبال، وهو يعكس الحالة النفسية للشاعر الذي رفض الواقع وأبى تصديقه.

8 ـ شاحب

الشحوب من الفعل شحب، وهو تغيّر وضعف يصيب الجسم من هزال أو عمل أو جوع أو سفر، وفي معنى حديث ابن مسعود رضي اللّه عنه أنّ شيطان الكافر شاحب عند لقائه بشيطان المؤمن، وهذه المفردة جاءت على صيغة اسم فاعل للدلالة على حاله الذي يقيم عليه، ودوام الشحوب دليل على عظم المصيبة، وعدم زوال الهم والألم.

9 ـ ابتليت

من الابتلاء وهو الاختبار والتمحيص ويكون بالشر والخير فلا فرق بين الفعلين قال اللّه تعالى:﴿كُلُّ نفس ذائِقَةُ المَوْتِ وَنَبْلُوَكُمْ بِالشَّرِّ وَالخِيْرِ فِتْنَةٌ وَإِلَيْنا تُرْجَعُون﴾ [الأنبياء] الآية ،35 وفي الاختبار مهما كان صنفه شدّة ومعاناة تقع على المُختبر، وأبو ذؤيب هو المُبتلى ابتُلي بفقد بنيه خمستهم.

10ـ أقضَّ المضجعُ

من الفعل قضض يقال: قضّ عليه المضجعُ: بمعنى نبا وخشُنَ وتترّب، فهو لم ينم نومة وكان في مضجعه خُشنةٌ. والقضّة أرض منخفضة ترابها رمل. (معجم المعاني الجامع، بلا تاريخ) والمعنى أنّ الشاعر في حال من الحيرة التي دفعته للأرق والسهاد، فكان تحت جنبه مثل القضض الذي يمنعه النوم، ويحرمه الأمان.

11 ـ أودى

(ابن منظـور، صفحة 185) بمعنى هلك، أودى بالشيء ذهب به، أودت به الحادثة قتلته وأهلكته، أودى به الموت: أهلكه أودى بنيّ: هلكوا وهو مكرّر في القصيدة لأنّ حاله مقيم، فهو مهموم مكلوم، لأنّ أبناءه هلكوا في بلاد بعيدة عنه وتركوه للخيبة والأحزان.

12ـ ودّعوا

من الفعل ودع يدع يترك، تقول العرب دعني وذرني ولا تقول ودّعتك ووذرتك، فاستغنوا عنهما بالفعل تركتك، قال تعالى:﴿مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَى﴾ [الضحى] الآية 3 أي ما تركك جوابا لمحمد صلى اللّه عليه وسلّم بعد أن قال قومه: بأنّ اللّه تعالى تركه (ابن منظـور، الصفحات 179-180). وهي

متكرّرة في النص، وتكرار المعنى المعجمي يرسخ توجيه الدلالة نحو أنّ أبناءه ودّعوه وتركوه على الحزن قائما مستقرا.

13ـ أعقبوا

لفظة تقال للرّجل إذا مات وترك عقبا أي ولدا، ذهب فلان وأعقبه ولده (ابن منظور، صفحة 215)، قال تعالى: ﴿وَجَعَلَهَا كَلِمَةً بَاقِيَةً فِي عَقِبِهِ لَعَلّهُم يَرْجِعُونَ﴾ [لزخرف] الآية 28 أراد بها أنّ من عقب إبراهيم هناك من يوحّد اللّه تعالى، وقد رحل البنون وأعقبوا أباهم يتجرّع مرارة الفقد وغصّة الفراق.

14ـ غصّة

الغصة هي الشجا في الحلق، يقال غصصت بالماء غصا، إذا شرقت به ووقف في الحلق لم تكد تسيغه، وهي ضدّ لما ورد في قول اللّه تعالى: ﴿خَالِصًا سَائِغًا للشَّارِبِينَ﴾ [النحل] الآية 66 فهي من المشروبات التي لا يغصّ بها صاحبها، وغصص الموت منه. (ابن منظور، صفحة 54) عبرة لا تُقلِعُ العبرة هي أن ينسكب الدّمع ولا يُسمع البكاء والحزن بغير بكاء والصحيح هي الدمعة (ابن منظور، صفحة 14) منهمرة غير منقطعة، وهي حال من الحيرة واختلاط المواجع. والمعنى أنّه بعد فقده لبنيه بقي بغصّة تلازم حلقه ودمعة تلازم عينه، ولا يجتمع هذان الحالان إلاّ لمهموم مكلوم.

15ـ أعنقوا

العنق هو ضرب من السير فسيح سريع للإبل والخيل، أعنق الفرس أسرع، أعنقت البلاد بعُدت، (معجم المعاني الجامع، بلا تاريخ) ورُوي الإعناق في القاموس المحيط بمعنى الإسراع إلى الجنّة، أعنقوا لهواهمُ أسرعوا لمقصدهم ورغبتهم وخالفوا رغبة والدهم وهواه وهو أن يموت قبل بنيه.

16ـ تُخرِّموا

(ابن منظور، صفحة 5) من الخرم هو الثقب والشق، فتُخرّموا بمعنى تقطّعوا اخترم فلان مات وذهب، اخترمته المنية أخذته، خرمته الخوارم إذا مات، اخترمهم الدهر استأصلهم ونزع شأفتهم ولم يُبق لهم باقية، فقد كان موت البنين خمستهم بمثابة استئصال تام، وجاء فعل الخرم تعبيرا عن شدّة الهول وقوة المصاب.

17ـ مصرعُ

الصرع من الطرح أرضا وهو مصدر ميمي من صرع موت وحتف، واسم مكان وهو مكان القتل من الجسد، صرعه الموت أهلكه (معجم المعاني الجامع، بلا تاريخ). قال تعالى:﴿تَرَى القَوْمَ فِيهُا صَرْعَى كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ خَاوِيَةٌ﴾ [الحاقّة] الآية 7. وفي قوله: ولكل جنب مصرع وصف دقيق لحجم المصيبة التي طالت الشاعر بفقد ابناءه.

18ـ ناصِبٌ

اسم فاعل من النصب قال اللّه تعالى: ﴿فَإِذَا فَرَغْتَ فانْصَبْ﴾ [الشرح] الآية 7 وهو الإعياء من العناء، همٌ ناصبٌ بمعنى هم ذو نصب كيوم عاصفٍ فيه عصفٌ ومكان باقل فيه بقلٌ، فعيش ناصبٌ فيه نصبٌ، (ابن منظور، صفحة 267) وهو بهم لاحق ولهم تابع ولحالهم صائر.

19 ـ لاحق

هو صائر إلى ما صاروا إليه.

20ـ المنيّة

(ابن منظـور، صفحة 139) المنية من الفعل مني بالياء وهو القدر، ويُقال منى اللّه لك ما يسّرك أي ما قدّر اللّه لك، والمنية بفتح الميم هي الموت تُجمع على منايا بمعنى مهالك وتقريره أنّ حكم المنية لا رجعة فيه فهو قدر، وأن الموت مقدّر بوقت مخصوص وشكلٍ محتوم.

21ـ سُملت بشوك عور تدمع

(ابن منظـور، صفحة 260) حداق العين سَملُ العين فقأها، السمل أن تفقأ العينُ بحديدة محمّاة أو بغير ذلك، وقد يكون السمل فقأها بالشوك، وكان هذا حد من حدود عرب الجاهلية، ويُسمّى الفاعل سمّالا، والجمع بين عوار العين ودمعها فيه تناقض يجمع بين العوار وفقإ العين وسيلان الدمع، وهما وإن كانا لا يجتمعان في الحقيقة فقد اجتمعا للشاعر، الذي ألمّ به الفقد والحزن والأسى.

22ـ تُقرعُ

(ابن منظـور، صفحة 76): من القرع وهو الضرب وهي كل هنة شديدة، وهي النازلة الشديدة تنزل عليهم بأمر شديد لذلك قيل ليوم القيامة القارعة، وفي قوله تعالى:﴿القَارِعَةُ مَا القَارِعَةُ﴾ [القارعة] الآية1، والقراع والمقارعة: المضاربة بالسيوف وقيل: مضاربة القوم في الحرب، وقد تقارعوا، وقريعك: الذي يقارعك، وهي مصيبة الموت تقرع أبا ذويب وتتنزّل عليه.

23ـ تلفٍ مقيم

التلف هو الهلاك والعطب المقيم في كلّ شيء، تقول العرب: إنّ من القرف التلفُ، والمتالف هو المهالك، أتلف ماله أفناه، وهي كلمة مرتبطة في المعاجم بالمنايا، أتلفتنا المنايا، والمتلف في لغة العرب هو القفر لأنه يتلف سالكه، وقد ارتبط مهلك البنين بالبوار والفناء والنهاية، فقد انقطعوا وانقطع أثرهم، إذ لم يبق منهم أثرولن يكون لهم خلف.

24ـ تصدّع الشّملُ

(ابن منظـور، صفحة 212) الصدع هو الشق والتفريق في قوله تعالى: ﴿يَوْمَئِذٍ يَصَّدَعُونَ﴾[الروم] الآية 43 معناه يتفرّقون فيصيرون فريقين والصدع نبات يصدع الأرض فيشقها، انصدع الصبح انشق عليه الليل، ويسمى الصبح صديعا، ومن معانيه انشق وانفجر وانفلق، وتصدّع القوم تفرّقوا واختلفوا، والمعنى في النص باد من ظاهر اللفظ واللفظ مكرر ليتكرر المعنى ذاته.

25ـ فجع، مُفجّع

(ابن منظـور، صفحة 133) الفجيعة هي الرزيّة الموجعة، والتفجّع هو التوجّع والفواجع المصائب المؤلمة، رجل فاجع لهفان متأسّف وقد تكررّ المعنى قبلا، إنّ حال أبي ذؤيب كحال من حلّت به مصيبة الموت، فظل يقول موت وجع ألم هلاك فناء بألفاظ تتكرر لفظا ومعنى. في قوله ويُبْكَى عليكَ مُقتّعا لا تسمعُ: وهي عبارة في وصف الميّت، لقد رأى نفسه ميتا مُقتّعا بقنوع الميّت.

26- مُقنّع

(ابن منظور، صفحة 202) من الجذر قنع يقنع ومنه قناع ومقنّع والمقنّع بالحديد المغطّى رأسه بخوذة، والمقنّع المغطّى رأسه، وأقنع رأسه وعنقه رفعه وشخص ببصره نحو الشيء لا يصرفه عنه، والمقنّع هو الميّت.

وورد في التنزيل الحكيم قوله تعالى: ﴿مُهْطِعِينَ مُقْنِعِيْ رُؤُوسِهِمْ﴾[إبراهيم] الآية 43 المُقنع الذي يرفع رأسه وينظر في ذلّ وخشوع من هول المشهد، وإن كان الوصف في الآية القرآنية للظالم يوم القيامة، فإنّه في القصيدة يصف الميّت ممدّدا وقد لُفّ في أكفانه لا يسمع لقوله: مقنّع لا يسمعُ. كلُّ تلك المفردات تنحو بالقصيدة منحى الحزن والأشجان.

27- يَفزَعُ، مُفزَّعُ؛ (ابن منظور، صفحة 179).

الفزع هو الفرق والذعر من الشيء، فزّع عنه كشف عنه الخوف قال اللّه تعالى: ﴿حَتَّى إِذَا فُزِّعَ عَنْ قُلُوبِهِمْ قَالُوا مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ﴾ سبأ، 23.والمُفَزّع هو الذي أُزيل عنه الفزع، وفزاعة يُفزع الناس وكثير الفزع، ويجيء الفزع بمعنى الإغاثة قال صلى اللّه عليه وسلّم "إنّكم لتكثرون عند الفزع وتقلّون عند الطمع، أي تكثرون عند الإغاثة" و يقال : فزعت إليه فأفزعني أي استغثت إليه فأغاثني، وكذلك التفزيع، وهو من الأضداد، أفزعته إذا أغثته، وأفزعته إذا خوفته، وهذه الألفاظ كلها صحيحة ومعانيها عن العرب محفوظة، وقال الأزهري: العرب تجعل الفزع فرقا، وتجعله إغاثة للمفزوع المروّع، وتجعله استغاثة.

وهو الحال الذي كان عليه أبا ذؤيب فهو يتراوح بين حالين؛ حال الألم وشدّة ووقعه على نفسه لما أصابه وأفزعه، والحال الثانية هي أنه يستغيث ويستصرخ قومه ليتأسّى بمواساتهم له.

د ـ ألفاظ الموت بين السياق اللغوي وسياق الموقف؛ موت البنين

كان رصـــد المعاني المعجمية لألفاظ الموت والفناء في المرثية وحده، قادرا على جعل القارئ يســتشــعر الأحزان والآلام، فهي جملة من الألفاظ التي تداولتها ألســنة العرب عبّرت عن مشــاعرهم وقبضــت على ألفاظ موضــوعة الموت بأحزانه قبضــا محكما، ثم أمسكت بها المعاجم وصــيّرتها إلى التاريخ الحديث، ومازالت تلك الألفاظ بمعانيها تُلقي بظلالها وعتمتها على أذهان المســتعملين لها إلى يوم الناس هذا.

ثم إنّ عملية تجميعها في المرثية تجميعا إبداعيا، جعل مفعولَها يتكاثف وتأثيرها يزداد ويتضاعف، بفعل قانون الكثرة والحشد والتجميع، فقد أرسل أبو ذؤيب من الكلمات ما شخّص الحدث ونقل حزنه إلى التاريخ الحديث نقلا دقيقا، فرسالة المرثية لوعة وحزن وشرخ وقهر وجزع، وإنّ مجرّد تواتر تلك الألفاظ كان كفيلا بإيصــال معاني الحزن بكلّ تجليّاته. فهل ذلك ســبيل يقلّل من مبالغة السياقيين في الاعتداد بالسياق؟ ويجعلنا نكتفي بالدّلالات المعجمية ؟

وإذا كان الســياقيون قد بالغوا في الاعتداد بفكرة أنّ المعنى الذي يتم اختياره في الاســتعمال هو المعنى المقصود لا غيره، فإنّ تلك المبالغة نابعة ـــ ولا شك ـــ من أنّ إدراك المتكلّمين لمعاني الكلمات هو إدراك ضبابيٌ، لا يحظى بالدقة والتحديد، إلاّ أنّ السياق هو الذي يُكسبها الدقة والتحديد اللذين فقدتهما الكلمة خارج السياق.

وهذا يرفع سقف التساؤل المشروع، هل: "الكلمة المفردة لا معنى لها على الإطلاق؟ كيف تصنّف المعاجم إذا لم يكن لهذه الكلمات معانٍ؟" (بالمر، 1999، صـــفحة 57)، فلا يكون التركيز على الكلمة نفســها، بل على "النظر إلى الكلمات الأخرى وربّما الجملة كلّها، ولهذا الســبب لا ينبغي أن نرغب في البحث عن مثل هذه الكلمات وهي منعزلة لكن فقط داخل جملة". (بالمر، 1999، صفحة 62)".

تنبّه فاندرياس لقضية استقلالية المفردة في ذهن مستعملها، وقدّم لها توصيفا دقيقا وجعل المعاني التي يُحتملُ أن تتوارد على ذهن المتكلّم تمثّل قيما محايدة وهي في اســتعداد للانطلاق والقبض على المعنى المقصود متى ما توفّرت لها شروط السياق المقصود، فالسياق هو الذي يفرض على مســتعمل اللغة قيمة محدّدة وينفي غيرها من المعاني المحتملة، ومنه فالمفردة في ذهن مستعملها متحرّرة من المعاني الاستعمالية." (فاندرياس ، د ت، صفحة 232).

وحدث موت البنين هو موقف تداولته الكتب والمدوّنات التي اهتمت بتأريخ وتحليل وتقديم وشرح المرثية، ولم ينقطع الاهتمام به ولاجفّت أقلام المهتمين به حدثا يشكّل موضوع المرثية إلى يومنا، وهذا ما يُكسبه الشرعية ويثبته في السياق الاجتماعي بأدلّة تاريخية موثّقة ليست من نسج الخيال، والمعاني المحتملة في المرثية هي قيم متســاوية موزّعة في الأذهان، هي في انتظار مؤشّرات وظروف معيّنة ليتحدّد المعنى المقصود من خلال تساوقه مع الحدث.

قدّم أبو ذؤيب الهذلي قاموسا من المفردات سرّد به حكاية الموت تسريدا فريدا من نوعه، وأوردها في سياق لغويّ محكم البناء تميّز بالتماسك والترابط لتبليغ المعنى المقصود، إذن يُعدُّ تماسك المفردات في حدّ ذاته عاملا رئيسا بل من أهم عوامل استقرار المعنى وثبوته، وتكمن فائدته في أنّه ربط للدّلالات الواردة في جمل النص، وضمان لعدم الخروج عن المقاصد (الفقي، 2000، صفحة 74).

والملاحظ هو قوة تجميع ألفاظ الحزن في سياق واحد، فقد وردت كلمات المنون، الرّيب، الدهر، العتب، الجزع في البيت الأوّل، والشحوب والابتذال في البيت الثاني، وقضض المضجع واعتلال الجسم في البيت الثالث، وصيغة أودى بنيّ ووّدّعوا في البيت الرابع، وانظر إلى البيت الخامس الذي بدا مفردة واحدة تحمل أقوى معاني الأسى وأشدّها فتكا بالنفس الإنسانية، فقال فيه:

أودى بنيّ وأعقبوني غُصّةً / بعد الرُّقاد وعبرة لا تقلعُ.

أمّا البيت الموالي فجاءت فيه صيغ أعنقوا، وتُخُرِّموا، ولكلّ جنب مصرعُ إشارة إلى القوّة القاهرة التي تخطّفتهم وجعلتهم أثرا بعد عين، وأورد في البيت الموالي ألفاظ عيش ناصبٍ، ولاحق، ومستتبع، التي دلّت على التتابع واستمرار الحزن الذي لم تجفّ منابعه، ثم توالت ألفاظ المنيّة وقوتها بشكل لا مجال لدفعه، أما منظر العين المثير للشفقة فقد جسّده بألفاظ سمل عور تدمع، وتوالت أبيات القصيدة بألفاظ الحوادث والصروف والتقريع والبكاء والفجيعة، وهو بين هذا وذاك سيصير حتما إلى ماصاروا إليه وسيغدو مقنعا بلا حسٍ ولا أثرٍ، كما سار للموت سابقوه وكما سيفعل لاحقوه. (أبو ذؤيب، 1965، الصفحات 1-2-3).

إنّ قوة حشد الألفاظ وربطها بهذا الشكل الكثيف في سياق النص يلقي بظلاله على المتلقّي، فبين اللفظ الحزين واللفظ الموجع لفظا مؤلمًا، وهذا رباط للمعنى قبل اللفظ وهو تجسيد للحزن بكلّ

معانيه، وتشديد على مرسلة الوجع والفقد والغياب وإنّ تحقيق اكتمال النص رهين به، وهذا الحضور المكثّف للفظ والمعنى أُطلق عليه تسمية قيمة حضورية (فاندرياس ، د ت، الصفحات 231-232). كما أنّ غياب التماسك يؤدّي إلى خروج القطعة من النص إلى اللاّنص، وهو خروج قصديّ يقصده مستعمل المفردة، ومنه فالسياق هو"مجموع الظروف التي تحيط بالكلام." (خليل، 2007، صفحة 82).

هـ ـ تمازج عناصر الدلالة في تحقيق إبلاغية النص

بعد هذا الرصد والتتبّع لدلالات ألفاظ المرثية في المعاجم، وربطها بسياقاتها اللغوية والاجتماعية، لابد من الاعتراف بأنّ مراعاة كلّ تلك الاعتبارات مجتمعة، ودون إقصاء لبعد على حساب آخر في النص الشعريّ، هو في حدّ ذاته عامل قوّة يجلّى الدلالة، والثابت كذلك أنّ المقاصد في النص الشعري لا تتوقف عند المعاني المعجمية للألفاظ فقط، ولا على مخارج الحروف والمقاطع الصوتية، بل تتداخل العناصر جميعها وتتضافر لتشكّل المعنى، وتتواشج المعاني المعجمية للكلمات في ترابطاتها المختلفة، وتتجاوز بإشعاعاتها حدود اللغة العادية، وتكتسب كل كلمة ذات معنى في المعجم مع التي تليها معانٍ جديدة، ما كانت لتكون لولا السياق الذي جمعها والبناء والتركيب الذي انتظمها، والمفارقات المعنوية دائما لا تكون إلا لمفارقات في البناء وفي سياق الألفاظ وتداخلها وائتلافها. (العشماوي، صفحة 259)

ثم هي تتعدّى هذا الطّرح لتتدخّل كلُّ معطيات الحياة والقراءات، فيتجدّد عطاء النص كلّما تجدّدت معايير الحياة، تلك الأبعاد والدلالات الإضافية لم يكن ليُتاح لها ذلك التمازج والتفاعل لولا توفُّر الأساس الممثّل في المعاني المعجمية التي تفاعلت تفاعلا أخصب النص وأثراه.

بناء على ذلك فإنّ البحث في المعاني المعجمية لمفردات النص الشعري أساس متين تقوم عليه الدلالة، لكنّه ليس تقزيما لأبعاد النص اللاّمتناهية، ولا قضاء على المعاني الشعرية التي تكتسبها الكلمات في النص، كما أنّه ليس إنكارًا للأبعاد الفلسفية والآفاق التخييلية، وإنّما الغرض هو القبض على ذلك الحد من المعنى الذي تُدلي به المفردات، والتركيز على المعاني المعجمية لا يقف موقفا مضادا للأبعاد التحليلية التي اختطّتها المناهج وأفرزتها النظريات بمختلف توجّهاتها المعرفية، وإنّمّا هو سعي إلى إثبات أنّ وجود حد ما من أدوات المعنى كفيل بإيصال معنى ما.

والجدير بالذكر أنّ أبا ذؤيب الشاعر الذي بكى وأبكى لم يضف بقصيدته شيئا إلى التاريخ، ولكنّنا اليوم ننقّب التاريخَ بالقصيدة، وقد أدت تلك الألفاظ الرسالية المباشرة والأساسية، ولعلّه لا يجدر بنا أن نتجاهل المتقادم إذا ظلّ جوهره قائما بل يُصبح بمثابة الوثيقة القيّمة، لأنّ الوظيفة التكوينية للكلام تخلق دورا اجتماعيا خطيرا لا ينبغي أن نفرط فيه.

3 ـ خاتمة

بناء على ما تقدّم من معطيات نوجز نتائج الورقة البحثية فيما يلي:

1 ـ تتحدّد دلالة اللغة من خلال رؤية ومفهوم المجتمع الذي يتكلّمها، ودلالات ألفاظ الموت والفناء في العربية قائمة مستقرّة طالما أنّ مشاعر الفقد والحزن والأسى هي ذاتها، ولا أدلّ على ذلك ممّا تواترمن معانيها المعجمية التي يتّفق مستعملو العربية على دلالاتها.

2 ـ المفردات جهاز حساس شديد الدقّة، يستقطب المسائل الاجتماعية ويسجّلها بدقّة متناهية، فهي مظهر اجتماعيّ وحضاري قويّ، لا أدلّ على ذلك من اهتمام أمم الحضارات القديمة بهذا الباب من أبواب اللغة.

3 ــ وجود ألفاظ بمعانٍ معجمية ومواقف سياقية معينة في نصوص معيّنة، سيوجّه النص إلى دلالات ومقاصد محدّدة فاختيار اللّفظ سيوجه المعنى في اتجّاه محدّد دون غيره.

4 ــ يؤدّي السياق بنوعيه؛ اللّغوي وسياق الموقف، دورا فاعلا في توجيه دلالات الألفاظ، وألفاظ الوجع والفزع والتصدّع والتفرّق والأفعال كتصدّعوا وتوجّعوا وتفرّقوا وثخرّموا وأعنقوا، لابدّ أنّ تؤدّي معانيها في سياقاتها اللّغوية ثم في سياقها الاجتماعي وهو موت البنين وما أحاط به من حزن وألم ولوعة.

5ـ التركيز على المعاني المعجمية والسياقية لا يقف موقفا مضادا للأبعاد التحليلية التي اختطّتها المناهج وأفرزتها النظريات الحديثة بمختلف توجّهاتها المعرفية، والتي هي مجالات أخرى من البحث والتنقيب.

ـ التوصيات

ترى الباحثة أنه لابدّ من إعادة النظر في المعاجم العربية التراثية والحديثة والعودة إلى الاعتداد بمضامينها، لغرض تجديد دورة حياة اللغة وإمدادها من سيل ماضيها العريق ربطا لماضي الأمّة بحاضرها ومستقبلها، لأنّ ذلك سيحمي جوهر اللغة وفكر المجتمع الذي يستعملها، ويمنعهما على مدى الزمن من الاضمحلال والتلاشي.

كما تدعو إلى ضرورة الاعتداد بالمعاني المعجمية في تحليل النصوص الأدبية في مختلف مراحل التعليم والتعلّم والحياة، لأنّ ذلك يقف حاجزا فعالا وحصنا منيعا، يمنع تغريب اللغة وخروجها عن مساراتها الكبرى بكلّ أبعادها النفسية والعقدية والاجتماعية.

قائمة المصادر والمراجع

أولا: المراجع باللغة العربية

1. ابن منظور. (بلا تاريخ). لسان العرب، حرف م، ج14، نسخة ألكترونية. تم الاسترداد من idfrom&https://www.islamweb.net/ar/library/index.php?page=bookcontents ID=7994&bk_no=122&idto=7983&=7983
2. أحمد مختار عمر. (1998). علم الدّلالة (الإصدار 5). القاهرة، مصر: عالم الكتب.
3. الهذلي أبو ذؤيب. (1965). ديوان الهذليين. القاهرة، مصر: الدار القومية للطباعة والنشر مكتب الثقافة والإرشاد القومي.
4. الهذليين ديوان. (1965). ديوان الهذليين. القاهرة، مصر: الدار القومية للطباعة والنشر مكتب الثقافة والإرشاد القومي.
5. بالمر. (1999). علم الدلالة إطار جديد . (تر: صابر إبراهيم السيّد، المترجمون) دار المعرفة الجامعية.
6. جورج ماطوري. (د ت). المعجمية الاجتماعية، منهج المعجمية،منشورات كلّية الآداب والعلوم الإنسانية بالرباط، جامعة محمد الخامس المملكة المغربية، سلسلة نصوص مترجمة (المجلد 1). (عبد العلي الودغيري، المترجمون) مطبعة المعارف.
7. حمادة شوقي. (2000). المساهم معجم عجائب اللّغة، نوادر ودقائق ومدهشات علمية ويتضمّن الألفاظ الدّخيلة على اللّغة العربية (الإصدار الطبعة الأولى). بيروت، لبنان: دار صادر.
8. صبحي إبراهيم الفقي. (2000). علم اللغة النصي بين النظرية والتطبيق، دراسة تطبيقية على السور المكيّة (الإصدار ط1). القاهرة، مصر: دار قباء للطباعة والنشر والتوزيع.
9. صلاح فضل. (1978). بلاغة الخطاب وعلم النص. الكويت: م ط عالم المعرفة.
10. عبد الفتّاح العليم البركاوي. (1994). دلالة السياق بين التراث وعلم اللّغة الحديث، دراسة تحليلية للوظائف الصوتية والبنيوية والتركيبية في ضوء نظرية السياق (الإصدار د ط). بيروت، لبنان: دار الكتب العلمية.
11. عبد النعيم خليل. (2007). نظرية السياق بين القدماء والمحدثين (الإصدار ط1).
12. عدنان الخطيب. (1994). المعجم العربي بين الماضي والحاضر (الإصدار 2). مكتبة لبنان ناشرون.
13. فاطمة الشيدي. (2011). المعنى خارج النص أثر السياق في تحديد دلالة الخطاب (الإصدار د ط). دمشق: دار نينوى.
14. فاندرياس . (د ت). اللغة (الإصدار د ط). (عبد الحميد الدواخلي، و محمد القصاص، المترجمون) مكتبة الأنجلو المصرية.
15. فايز الدّاية. (د ت). علم الدلالة العربيّ، النظرية والتطبيق، دراسة تاريخية تـأصيلية نقدية (الإصدار د ط). الجزائر: ديوان المطبوعات الجامعية.

16. فرديناند دي سوير. (1986). محاضرات في اللسانيات العامّة. (يوسف غازي، و مجيد النّصر، المترجمون) م الجزائرية للطباعة.
17. محمد زكي العشماوي. (بلا تاريخ). قضايا النقد الأدبي بين القديم والحديث.
18. مصطفى صادق الرّافعي. (1997). تاريخ آداب العرب، مراجعة وضبط عبد اللّه المنشاوي مهدي البحقيري (المجلد ج1). مكتب الإيمان.
19. معجم المعاني الجامع. (بلا تاريخ). معجم المعاني الجامع. تم الاسترداد من معجم المعاني الجامع،

https://www.almaany.com/ar/dict/ar-ar/%D8%B1%D9%8A%D8%A8-.%D8%A7%D9%84%D9%85%D9%86%D9%88%D9%86

ثانيا: المراجع باللغة الأجنبية

20. Nida) .s.d .(Componential analysis of meaning .
21. Piaget , J. (s.d.). le langage et la pensée chez lenfant. ed france.
22. Robins, H. (1964). Generale Linguistiques.longmans. London.